Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سترها السحاب». وقد تكون هذه الرواية ناظرة أيضاً الى الجانب التكويني والى جانب الهداية والإرشاد في وقت واحد.

فوائد وجود الإمام الحجة (عج) تحت الستار

لقد تسائل أُستاذنا السيّد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) في كتابه «بحث حول المهدي» عن فائدة وجود الإمام وما المبرّر بعد أن فرض تحت الستار. فأجاب مفترضاً وجود ثلاث فوائد اجتماعية تصبّ في إنجاح وتمكّن الإمام (عج) من ممارسة قيادته بدرجة أكبر.

الفائدة الأُولى: الإعداد النفسي لعملية التغيير الكبرى. بمعنى: «أنّ عملية التغيير الكبرى تتطلّب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها مشحوناً بالشعور بالتفوّق، والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أُعِدَّ للقضاء عليها ولتحويلها حضارياً الى عالم جديد، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغيّر من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها وإحساس واضح بأنّها مجرّد نقطة على الخط الطويل لحضارة الإنسان، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسيّة على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتّى النصر.

ومن الواضح أنّ الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم. ولمّا كانت رسالة اليوم الموعود تغيّر عالماً مليئاً بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوّعة فمن الطبيعي أن تفتّش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك

almawaddah.be

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالَم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالَم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العدل والحقّ، لأنّ من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تعمّر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنّه ولد وهي قائمة، ونشأ وهي جبّارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة، وخلافاً لذلك شخص يتوغّل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن ترَ تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأُخرى ثمّ تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ، ثمّ رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكوِّن الفصل الآخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، رأها وهي جذور صغيرة لا تكاد تتبيّن، ثمّ شاهدها وقد اتخذت مواضعها في أحشاء المجتمع البشري تتربّص الفرصة لكي تنمو وتظهر، ثمّ عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة أُخرى، ثمّ واكبها وهي تزدهر وتتعمّلق وتسيّطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله، فإنّ شخصاً من هذا القبيل عاش كل هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر الى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسّه لا في بطون كتب التاريخ»[1].

ففرق بين ما لو يكون القائد المعدّ لدابر الظلمة مولوداً في عصر أُبّهة ذلك الظالم وهيمنته وسطوته، وما لو كان القائد موجوداً في عصر سابق. وما أكثر ما يرى خلال هذه المدّة الطويلة من الظلمة الذين يعاشرهم من

---

(١) السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر، بحث حول المهدي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان ص ٤٢ ـ ٤٣.

almawaddah.be

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوّل نقطة ضعفهم وضئآلة وضعهم والى أن يصلوا الى نهاية طغيانهم والى أن يضمحلّوا مرّة أُخرى، ثمّ يعاصر آخر الأوضاع الظالمة التي بدأ أيضاً الطواغيت فيها بأدوار ضئالتهم الى أن تفرّعنوا وكان هذا القائد مأموراً بتطهير الأرض منهم ومن آثارهم فستكون للقائد عندئذٍ نفسيّة متهيّئة ومستعدّة للعمل الجادّ أكثر مما لو فتح عينيه منذ البدء في عصر أُبّهتهم وسيطرتهم.

الفائدة الثانية: الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القياديّة. بمعنى: «أنّ التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطورها لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القياديّة لليوم الموعود، لأنّها تضع الشخص المدّخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكلّ ما فيها من نقاط الضعف والقوة ومن ألوان الخطأ والصواب وتعطي لهذا الشخصيّة قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها، وكل ملابساتها التأريخيّة.»[١].

الفائدة الثالثة: الاقتراب من مصادر الإسلام الأُولى. بمعنى: «أنّ عملية التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معيّنة هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلّب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأُولى، قد بُنيت شخصيته بناءاً كاملاً بصورة مستقلّة ومنفصلة عن مؤثّرات الحضارة التي يقدر لليوم الموعود أن يحاربها»[٢].

إنّ افتراضات أُستاذنا السيّد الشهيد هذه حول فائدة الغيبة الطويلة للإمام الحجة الغائب (عج) واجهت اعتراضاً مفاده: «أنّ الإمام الحجة وهو

---

(١) آية اللّه السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر (رض)، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) آية اللّه السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر (رض)، المصدر السابق، ص ٤٨.

almawaddah.be

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إمام معصوم ملهم من قبل اللّه سبحانه وتعالى، لا يحتاج الى كثرة التجارب لغرض الإعداد النفسي وتعميق الخبرة القياديّة لأنّه حاصل على هذه الملكات بحكم إمامته.».

إنّ هذا الاعتراض غير وارد على هذه الفائدة التي ذكرها أُستاذنا السيّد الشهيد (رض)، وذلك لأنّه لا تنافي بينها وبين افتراض أنّ الإمام مزود بالعلم والمعرفة مباشرة من قبل اللّه تعالى، فتسديد الإمام عليه السلام من قبل اللّه قد تختلف طريقته، فتارة عن طريق الإلهام، وأُخرى بهذا النحو الذي ذكره أُستاذنا السيّد الشهيد رحمه الله ـ وهو التجارب ـ ويتمّ تكميله بهذا الأُسلوب وثالثة بالجمع بينهما. وهذا محتمل الصحّة ولا تنافي بين الأمرين.

أمّا بالنسبة الى مقارنه هذه النقاط ـ التي ذكرها أُستاذنا السيّد الشهيد ـ مع الرواية التي أوردتها حول أثر وجود الإمام الحجة في زمن غيبته «أمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإني أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء» فلا شئ من التقارب بينهما، لأنّ الرواية غير ناظرة الى هذه النقاط، ومضمونها لا يشير إليها. لكن الذي تشير إليه هذه الرواية هو امتداد تأثير الإمام القيادي والاجتماعي والتكويني على طول غيبته، كما أنّ الشمس توثّر وهي خلف السحاب.

تنوّع الأدوار القياديّة للأئمة عليهم السلام

تكاد تكون قيادة الأئمة للمجتمع الإسلامي، من البديهيّات المعروفة في التأريخ الإسلامي، رغم أنّ قيادتهم لم تجر بنسق واحد،

almawaddah.be